بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الخُسرانُ المُبينُ

الخُطبةُ الأُولَى:

اللَّهُمَّ لك الحمدُ بكُلِّ نعمةٍ أَنعمتَ بها علينا مِن قديمٍ أو حديثٍ، أو شاهدٍ أو غائبٍ، أو حيٍّ أو ميِّتٍ، لك الحمدُ بالإسلامِ، ولك الحمدُ بالإيمانِ، ولك الحمدُ بالقرآنِ، لك الحمدُ في كلِّ حالٍ، ولك الحمدُ حتَّى تَرْضى، ولك الحمدُ إذا رَضِيتَ، ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

أمَّا بعدُ؛ عِبادَ اللهِ، مقاييسُ الرِّبحِ والخُسرانِ ليست في الدُّنيا فقط، فكَمْ مِن رابحٍ في الدُّنيا وهو خاسرٌ يومَ القيامةِ؛ ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وكم مِن خاسرٍ في نَظرِ النَّاسِ في الدُّنيا، ولكنَّه يَربحُ عندَ اللهِ الرِّبحَ العظيمَ يومَ يَدخلُ الجَنَّةَ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والناس بحُكمِ ضَعفِ إيمانِهم، وتَعلُّقِ قلوبِهم بالمادَّةِ والدُّنيا، ونسيانِ مُعْظمِهم لِأمرِ الآخرةِ، يَقيسونَ الرِّبحَ والخَسارةَ على هذه الدُّنيا، إذا خَسرَ فريقُه الفُلانيُّ؛ قال: يا لَلخَسارةِ! فإذا اشترَى رَجُلٌ سيَّارةً، وصُدِمتْ؛ قال: خَسارةٌ! وإذا دَخلَ تِجارةً، وخَسرَ فيها؛ قال: يا لَلخَسارةِ! لكنْ إذا هُدِمتْ عقيدتُه، أو ضَيَّعَ صَلاتَه، أو خان أمانتَه، أو نَظَر بعينه إلى الحرامِ، أو سَمِع بأُذُنه الحرامَ؛ هل يَعتبرُ نَفْسَه خاسرًا؟! لا، لماذا؟ لأنَّ مُصيبةَ النَّاسِ في دُنياهم أعظمُ مِن مصيبتِهم في دِينِهم؛ لِعِظَمِ شأنِ وقيمةِ الدُّنيا، أمَّا الدِّينُ فهو بَسيطٌ في قلوبِ أكثرِ النَّاسِ، إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ.

إنَّ المُصيبةَ الحقيقيَّةَ هي مُصيبةُ الإنسانِ في دِينِه؛ ولهذا كان مِن دعاءِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقولُ: «ولا تَجعَلْ مُصيبتَنا في دِيننا، ولا تَجعلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا» [أخرجه النَّسائيُّ (١٠١٦١) عن ابنِ عُمرَ ﷺ]؛ لأنَّ كلَّ مُصيبةٍ دُونَ مُصيبةِ الدِّينِ فهي هيِّنةٌ، لها نهايةٌ ومَخرجٌ، لكنَّ مُصيبةَ الدِّينِ لا مَخرجَ منها؛ لأنَّ نهايتَها النَّارُ، والعياذُ باللهِ، فالخَسارةُ الحقيقيَّةُ هي الَّتي ينبغي أن نُراجعَ أنفُسَنا معها وأن نَعرِفَ فيها ربَّنا.

مَن هو الرَّابحُ مع اللهِ؟ ومَن هو الخاسرُ؟ اسمَعوا ما يقولُه اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ١٥] هذا هو الخاسرُ، ليس الخاسرُ الَّذي هُزِمَ فريقُه، أو انقلبتْ سيَّارتُه، أو ضاع مالُه، بل الخاسرُ الَّذي إذا ماتَ خَسِرَ نفْسَه وأهلَه ودَخَلَ النَّارَ، أمَّا الدُّنيا فأعظَمُ ما فيها أنَّك تموتُ، وإذا مِتَّ؛ تخلَّصتْ نفْسُك من هذه المصائبِ كلِّها، لكنَّ النَّارَ ليس فيها موتٌ، فالموتُ أعظَمُ أُمنيَّةٍ عندَ أهلِ النَّارِ، ينادُون وهُم في شِعابِها بُكِيًّا مِن تَرادُفِ عذابِها، ينادُون: يا مالكُ! قد نَضِجتْ مِنَّا الجُلودُ، يا مالكُ! قد تقطَّعتْ مِنّا الكُبُودُ، يا مالكُ! قد أَثقلَنا الحديدُ، يا مالكُ! أخرِجْنا منها فإنَّا لا نَعُودُ. فلا يُجيبُهم، بعدَ ذلك يَدْعُون مالكًا في الهلاكِ؛ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ يَعني: أَمِتْنا ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨].

فاللهُ يقول: إنَّ الخاسرينَ الحقيقيِّينَ هم الَّذين خسروا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامةِ، ألَا ذلك هو الخُسرانُ المُبينُ، ما الخُسرانُ؟ قال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]؛ أيْ: اتَّقُوا عذابي، هذا كلامُ اللهِ، لكنْ إذا كان العبدُ يَفقِدُ ويَفتقدُ هذه الأشياءَ، واللهِ لو مَلَكَ الدُّنيا بأَسرِها؛ فلَنْ يفكِّرَ فيها، هل سيملِكُ أَحَدٌ مِثلَ مُلكِ فرعَونَ؟ كان فرعَونُ مَلِكَ مِصرَ، وكان يَدَّعي أنَّه الرَّبُّ، وكان يقولُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وكان يقولُ لِبَني

إسرائيلَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، أين فرعَونُ الآنَ؟ في خُسرانٍ، يقولُ اللهُ فيه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

مَهْما كان مالُ الإنسانِ، وليس معه إيمانٌ، ولا عقيدةٌ، ولا دِينٌ؛ فهو خاسرٌ، هل سيَجمعُ أَحَدٌ أموالًا مِثلَ قارُونَ؟ قارُونُ الَّذي كانت له مَخازنُ الذَّهبِ الأحمرِ، والفِضَّةِ البيضاءِ، ومفاتيحُها لا تَحملُها العُصبةُ مِن الرِّجالِ، ويقولُ اللهُ فيه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨]، أين هو الآنَ؟ أين أموالُه؟ هل حَجَزتْه أموالُه مِن عذابِ اللهِ؟ إنَّه الآنَ يَتجلجلُ في بطنِ الأرضِ إلى يومِ القيامةِ؛ قال اللهُ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

عِبادَ اللهِ: يقولُ اللهُ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]،كيف كذَّبوا بلِقاءِ اللهِ؟ قد يقولُ شخصٌ: أنا مُصدِّقٌ بلِقاءِ اللهِ. نقولُ: فَتِّشْ عن عملِك، فالصَّادقُ يَظهرُ تصديقُه على عملِه، والكذَّابُ يَظهرُ تكذيبُه في عملِه، أمَّا الكلامُ فلا يَنفعُ، لا يَنفعُ أنَّك صادقٌ بدونِ دليلٍ أو بُرهانٍ، بيَّنَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى في القرآنِ أنَّ الكاذبينَ يَحلِفونَ يومَ القيامةِ مِثلَ ما كانوا يَحلِفونَ في الدُّنيا، كانوا في الدُّنيا يَحلِفونَ بالكَذبِ، ويَدَّعون الدَّعاوَى، ويُريدون أن يَدخُلوا الجَنَّةَ بالكَذبِ وباليَمينِ؛ قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٨-١٩]؛ لأنَّهم يُريدون الجَنَّةَ بالكَذبِ وبالأَيمانِ الكاذبةِ.

كلُّ خَسارةٍ غَيرَ خَسارةِ الإيمانِ والدِّينِ هيِّنةٌ، أمَّا هذه فهي الفُرصةُ الَّتي لا تُعوَّضُ، والخَسارةُ الَّتي ليس فيها رِبحٌ أبَدًا؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧].

والدُّنيا ليس فيها إلَّا رَجلانِ: رَجلٌ مُحِقٌّ، ورَجلٌ مُبطِلٌ، فالمُحِقُّ مَن عاش على الحقِّ مُمثَّلًا في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِه، والمُبطِلُ مَن عاش على الباطلِ مُمثَّلًا في مناهجِ الشَّياطينِ والفَسَقةِ والمنافقينَ، فيومَ القيامةِ يَنجَحُ أهلُ الحقِّ، ويُزحزَحون عن النِّيرانِ، ويَدخُلون الجَنَّةَ، ويَخسَرُ المُبطِلون؛ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧-٢٨]، نَعوذُ باللهِ من الخَسارةِ، فالخُسرانُ لِلمُبطِلِ، وأنت أَعرَفُ بنفْسِك؛ لأنَّه واضحٌ.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسُّنَّةِ، ونفَعَني وإيَّاكم بما فيهما من الآياتِ والذِّكرِ والحكمةِ، أقولُ ما سَمِعتم، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كُلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ؛ فاستَغفِرُوه وتوبوا إليه إنَّ ربِّي لَغفورٌ رحيمٌ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ يُطْعِمُ ولا يُطعَمُ، وأشكرُه على جزيلِ النِّعَمِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، رزقُه ما لـــه مِـــن نَفَـــادٍ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، رَضِيَ مِن الدُّنيا بالكَفافِ؛ فصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آلِهِ وصحابتِه أجمعينَ.

هناك صُوَرٌ ومَظاهرُ للخَسارةِ؛ منها:

- خَسارةُ نَقْصِ الأعمالِ؛ لأنَّ الأعمالَ يومَ القيامةِ هي المَوازينُ، فاللهُ عزَّ وجَلَّ يَنصِبُ موازينَ تَزِنُ وتُرجِّحُ بالخَردَلةِ؛ يقولُ اللهُ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وبَعدَ ذلك يَصيرُ ترجيحٌ في الأعمالِ؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وخَفَّتْ سيِّئاتُه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] جاء بسَيِّئاتٍ كثيرةٍ جدًّا في كِفَّةِ ميزانِه، حتَّى طاشَت الكِفَّةُ الأُخرى كِفَّةُ الحَسَناتِ، ورَجَحتْ كِفَّةُ السَّيِّئاتِ، قال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

- الشِّركُ باللهِ؛ خَسارةٌ ليس بَعدَها رِبْحٌ، كلُّ خَسارةٍ بالمعاصي تُعوَّضُ بالتَّوبةِ، أو بالمغفِرةِ، أو بالتَّهذيبِ، أو بالتَّنقيةِ في النَّارِ، أمَّا الشِّركُ فلا يَغفرُه اللهُ إلَّا إذا تاب الإنسانُ منه قَبلَ المَوتِ، وإذا مات مُشرِكًا؛ فإنَّ اللهَ قد حَكَمَ عليه بالخَسارةِ؛ قال عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، هذا خُسرانٌ؛ لأنَّ مِن علاماتِ حُسنِ الخاتِمةِ أن يقولَ الشَّخصُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ومِن علاماتِ سُوءِ الخاتِمةِ ألَّا يقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ لِحديثِ النَّبيِّ ﷺ: «مَن كان آخِرُ كلامِه» في الدُّنيا «لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» [أخرجه الحاكمُ (١٣٠٣) عن مُعاذِ بنِ جَبلٍ ﷺ]، وهذه لا أَحدَ يستطيعُ أن يَقولَها إلَّا الَّذين عاشُوا عليها، مَن صَبَغَ حياتَه بـــ(لا إلهَ إلَّا اللهُ)، وعَجَنَ نفْسَه حتَّى صارتْ (لا إلهَ إلَّا اللهُ) تَسيرُ في عُروقِه، وتَتردَّدُ مع أنفاسِه، وعَينُه محكومةٌ بـــ(لا إلهَ إلَّا اللهُ)، وأُذُنُه ويَدُه محكومةٌ بـــ(لا إلهَ إلَّا اللهُ)، و(لا إلهَ إلَّا اللهُ) تُهيمِنُ عليه، عندَ المَوتِ يقولُ: (لا إلهَ إلَّا اللهُ)، ما يَحتاجُ مَن يُذكِّرُه، لماذا؟ أصبحتْ (لا إلهَ إلَّا اللهُ) متكامِلةً فيه، لكنْ مَن عاش على غَيرِ (لا إلهَ إلَّا اللهُ)؛ فإنَّه لا يستطيعُ أن يقولَها عندَ المَوتِ، وإذا خَرجَ بغَيرِ (لا إلهَ إلَّا اللهُ)؛ فهذه علامةُ سُوءِ الخاتِمةِ، والعِياذُ باللهِ! خَسارةٌ عندَ الخروجِ مِن الدُّنيا حينَ يَخرجُ ولا يقولُ: (لا إلهَ إلَّا اللهُ)، ومُصيبةٌ أيُّ مصيبةٍ أن تَعيشَ -يا أَخي- ستِّينَ أو سبعينَ سَنةً، وتَخرجُ مِن الدُّنيا وليس معك حتَّى (لا إلهَ إلَّا اللهُ)، واللهُ يقولُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يَعني الآنَ ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ يَعني في القَبرِ، حِينما تُسألُ في قَبرِك: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فتقولُ: ربِّيَ اللهُ، ودِينِيَ الإسلامُ، ونَبيِّي محمَّدٌ. ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، مُصيبةٌ وخَسارةٌ للظَّالِمِ، في القَبرِ يُضِلُّه اللهُ، فلا يقولُ ربِّيَ اللهُ، بل يقولُ: هاهْ هاهْ! لا أَدري.

وفي القَبرِ رِبحٌ لأهلِ الإيمانِ، يَكونُ قَبرُك رَوضةً من رِياضِ الجَنَّةِ، يُفتَحُ لكَ بابٌ مِن عندِ رأسِك إلى الجَنَّةِ، وقَدَماك إلى الجَنَّـــةِ، وعنْ يمينك ويسارك إلى الجَنَّةِ، ويأتيك مِن رَوحِها وطِيبِها ونَعيمِها، ويأتيك عملُك على أحسنِ هيئةٍ ويقولُ: أبشِرْ بالَّذي يسُرُّك. فتقولُ: مَن أنت فوَجهُك الوجهُ يَجيءُ بالخيرِ. يقولُ: أنا عملُك الصَّالحُ، حَفِظتَني فحَفِظك اللهُ. اللَّهُمَ اجعلْنـــا منـــهم يـــا ربَّ العالَمينَ.

وبعد ذلك يومَ القيامةِ تُبعثُ مِن قَبرِك لا خوفٌ عليك؛ لأنَّك ناجحٌ ورابحٌ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويُظِلُّك اللهُ في ظِلِّ عَرشِه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، وتَشربُ من حَوضِ النَّبيِّ شَربةً لا تَظمأُ بعدَها أبدًا، ينقطِعُ الظَّمأُ عندَ تِلك الشَّربةِ، وتأخذُ كِتابَك بيمينك، ثُمَّ تُوزَنُ، فيَرجُحُ مِيزانُك، ثُمَّ يُقالُ لك: ادخُلِ الجَنَّةَ؛ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠-٧١]، هذا فوزٌ عظيمٌ في كلِّ مراحلِ الحياةِ؛ في الدُّنيا، والمَوتِ، والقَبرِ، وعَرَصاتِ القيامةِ، والجَنَّةِ دارِ السُّعداءِ -نسألُ اللهَ من فضلِه- الَّتي فيها ما لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ.

عِبادَ اللهِ: أمَّا بغَيرِ الإيمانِ، وبغَيرِ الدِّينِ، ولو كان مع الإنسانِ مالٌ؛ فهي خَسارةٌ في الدُّنيا، ولو معه مَنصِبٌ، وعندَه كلُّ شيءٍ، لكنْ لا يوجدُ الدِّينُ؛ فهي خَسارةٌ، يَخسَرُ الأمنَ، والرَّاحةَ القلبيَّةَ، ويَعيشُ في قَلَقٍ وحَيرةٍ واضطِرابٍ، ثُمَّ عندَ المَوتِ يَخرُجُ وقد خَسِرَ (لا إلهَ إلَّا اللهُ)، وفي القَبرِ خَسِرَ إجاباتِ (مَنْ ربُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نَبيُّك؟)، ويومَ القيامةِ يَخسَرُ خَسارةً ما بعدَها خَسارةٌ، يُطرَدُ عن الحَوضِ طَردًا، يأتي يُريدُ أن يَشربَ، فتَذُودُه الملائكةُ بسِياطٍ من نارٍ، اذهبْ، لا تَشربْ مِن هُنا، اشربْ مِن زَمهريرٍ، من الغِسلِينِ، اشربْ من الحَميمِ والغَسَّاقِ، لماذا؟ لأنَّه كان يَشرَبُ من المعاصي في الدُّنيا، ما كان يَشرَبُ من السُّنَّةِ والقرآنِ والدِّينِ، كان مَشرَبُه مُعكَّرًا خَطَأً مِن أوَّلِه إلى آخِرِه، هُناك ﴿وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٦-٣٧]، ويُوزَنُ فيَخِفُّ مِيزانُه؛ لأنَّه تافِهٌ رخيصٌ، لا وَزْنَ له، ولا قِيمةَ له، ماذا عندَ العاصي إلَّا المَعاصي؟ لكنَّ الطَّائعَ عندَه وَزْنٌ، وعندَه إيمانٌ.

وأيضًا يأخذُ الخاسِرِ كِتابَه بشِمالِه؛ لأنَّه كان يَمشي خَطَأً، كان يَمشي على الشِّمالِ، ما كان يَمشي مع اللهِ، ما كان يَمشي بالاتِّجاهِ الصَّحيحِ، كان اتِّجاهُه دائمًا خَطَأً في خَطَأٍ، ولِهذا يأخذُ كِتابَه بشِمالِه، ثُمَّ بعدَ ذلك لا يُظِلُّه اللهُ في ظِلِّ عَرشِه، ويُسحَبُ على وجهِه في النَّارِ، نَعوذُ باللهِ من النَّارِ؛ يقولُ اللهُ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، هذا -أيُّها الإخوةُ- هو الخُسرانُ المُبينُ، فلْنراجِعْ حساباتِنا مع اللهِ، ولْنصحِّحْ أوضاعَنا، ومَن كان مُذنبًا فلْيستغفِرْ.

اللَّهُمَّ أَرِنا الحقَّ حقًّا وارزُقْنا اتِّباعَه، وأَرِنا الباطلَ باطلًا وارزُقْنا اجتنابَه، ولا تَجعَلْه مُلتبِسًا علينا فنَضِلَّ، واجعَلْنا للمُتَّقِينَ إمامًا.

اللَّهُمَّ اختِمْ بالصَّالحاتِ أعمالَنا، وبالسَّعادةِ آجالَنا.

اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه في قلوبِنا، وكَرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعَلْنا من الرَّاشدينَ.

اللَّهُمَّ احفَظْنا بالإسلامِ قائمينَ وقاعدينَ وراقدينَ، ولا تُشمِتْ بنا أعداءً ولا حاقدينَ، واجعَلْنا من أولِيائِكَ الصَّادقينَ.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بكَ مِن جَهْدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ.

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى، ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ والبغيِ، يَعِظُكم لعلَّكم تذكَّرون؛ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُروه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد

www.alhmmad.net

الجمعة ٦/٥/١٤٤٠هـ